١٠

كتاب المؤتمر

٤ المؤتمر الدولي للغة العربية

٦ - ١٠/٥/ ٢٠١٥
١٧ - ٢١/٧/١٤٣٦
دبي الإمارات

تنوّع القراءات في الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم وأثره في المعني القرآني

الدكتور / سعيد بن راشد الصوافي

الملخص

أراد الله تبارك وتعالى أن يكون القرآن الكريم وعاءً للغة العربية، حفاظاً على سلامتها مبنىً ومعنىً؛ ولذلك فإن جمال القرآن الكريم المتمثل في فصاحته، وبلاغة بيانه، ورصانة أسلوبه، وعذوبة ألفاظه، لم يخرج عن قواعد اللغة العربية، وضوابط أسلوبها، التي عرفها العرب الذين نزل القرآن الكريم عليهم، بل جاء ليؤكدها، ويحافظ عليها، وكل ذلك إنما هو سر من أسرار هذا الكتاب العزيز، وضرب من إعجازه.

وإن تنوّع القراءات القرآنية أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم، ورافد من روافد اللغة العربية، فالقراءات القرآنية حفظت جانباً من جوانب أفانين اللغة العربية، وضروب أساليبها المتنوعة، وهذه الدراسة الموسومة بـ (تنوّع القراءات في الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم وأثره في المعني القرآني)تبيّن تنوّع القراءة في أسلوب الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم، وكيف أدّى تنوّع القراءة فيها إلى تنوّع المعنى، وقد جاءت في محورين: الأول: المقصود بالاستفهام المتكرر وضوابطه ومواضعه في القرآن الكريم، والمحور الثاني: أثر تنوع القراءات في الاستفهام المتكرر على المعنى.

المقدمة

الحمد لله، علّم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على من نطق بأفصح لسان، وأجمع بيان، وعلى آله البررة الكرام، ومن سار على دربهم إلى يوم القيام، أما بعد: فيقول الله عز وجل وهو أصدق القائلين، واصفاً القرآن الكريم: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥).

إن جمال القرآن الكريم المتمثل في فصاحته، وبلاغة بيانه، ورصانة أسلوبه، وعذوبة ألفاظه،لم تخرج عن قواعد اللغة العربية، وضوابط أسلوبها، التي يعرفها العرب الذين نزل القرآن الكريم عليهم، بل جاءت لتؤكدها، وتحافظ عليها، كل ذلك إنما هو سر من أسرار هذا الكتاب العزيز، وضرب من إعجازه. وقد اقتضت حكمة الله أن تتعدد القراءات القرآنية في الكلمة الواحدة؛ بياناً لسعة معاني اللغة العربية وتعدد أنماطها وتراكيبها، فكان القرآن الكريم وعاءً للغة العربية، محافظاً على سلامتها مبنىً ومعنىً.

وهذا البحث المعنون بـ (تنوّع القراءات في الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم وأثره في المعني القرآني) يهدف إلى تجميع شتات موضوع تفرّقت جزئياته، فيبيّنه بأسلوب واضح سهل مُيسّر. وقد تمثل في الآتي:

- مقدمة: شملت أهمية الدراسة، والخطة، والمنهجية.
- تمهيد: تعرّض لتعريف بعض المصطلحات ذات الصلة بالموضوع.
- المحور الأول: المقصود بالاستفهام المتكرر وضوابطه ومواضعه في القرآن الكريم.
- المحور الثاني: تنوع القراءات في الاستفهام المتكرر وأثره على

المعنى.

- الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

أما المنهجية المتبعة: فقد استخدمت في هذه الدراسة المنهجين: الاستقرائي، والاسترددادي؛ حيث تتبعت مواضع الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم، ورتبتها حسب الترتيب المصحفي، ورجعت إلى كتب القراءات لمعرفة تعدد القراءات فيها، ومن ثم كتب توجيه القراءات وعللها وكتب تفسير القرآن الكريم؛ لتوجيه القراءة، وقد اقتصرت على إيراد أوجه القراءات العشر الصحيحة، برواياتها العشرين فقط؛ تجنباً للخلافات الكثيرة في تعدد الطرق، والقراءات الشاذة.

تمهيد: المصطلحات ذات الصلة بالدراسة:

١. **القراءات:** جمع قراءة، وهي: كل خلاف نسب لإمام من الأئمة العشرة، مما أجمع عليه الرواة عنه[١]، أو هي: الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للفظ القرآني، على ما تلقاه مشافهة متصلاً سنده برسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فيقولون مثلاً: قراءة عاصم، قراءة نافع[٢].

٢. **الاستفهام:** هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته، وإحدى أدواته الهمزة[٣]؛ التي لا يليها إلا المسؤول؛ سواء كان مسنداً، ويكون بعد الهمزة فعل، كما تقول: أفرغت من قراءة الكتاب الذي كنت تقرأه؟. أو مسند إليه ويكون بعد الهمزة الفاعل؛ نحو: أأنت بنيت هذه الدار؟[٤].

٣. **الخبر:** هو الكلام المفيد الذي يقرر أمراً من الأمور، ويُخبر عن قضية من القضايا، ويحتمل الصدق والكذب[٥].

المحور الأول: المقصود بالاستفهام المتكرر وضوابطه ومواضعه في القرآن الكريم

أولاً: المقصود بالاستفهام المتكرر:

هو اجتماع لفظي الاستفهام في آية واحدة أو في آيتين متجاورتين، ويكون كل من اللفظين مشتملاً على همزتين.

ثانياً: شروط وضوابط الاستفهام المتكرر:

يشترط في لاستفهام المتكرر أن يجتمع لفظا الاستفهام؛ سوء كان اللفظان في آية واحدة أم في آيتين متجاورتين، وأن يكون كل من اللفظين مشتملاً على همزتين. فإن تحقق الشرط الأول دون الثاني بأن اجتمع لفظا الاستفهام ولم يشتمل كل منهما على همزتين فلا يكونان من هذا الباب، كقوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ • أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ**﴾ (النمل: ٥٤،٥٥)، فلفظ الاستفهام (أتأتون، أئنكم)، لكن الأول ليس مشتملاً على همزتين. وإذا تحقق الشرط الثاني وهو اجتماع همزتين، ولم يتحقق الأول وهو اجتماع لفظين فلا يكونان من هذا الباب، نحو (ءأنذرتهم، أئن ذكرتم)[٦].

ومن ضوابط هذا الموضوع: أن يكون الاستفهام الأول لفظ (أئذا) والثاني لفظ (أئنّا)، وقد يُعكسان فيكون الأول (أئنّا) والثاني (أئذا) كما في النازعات. وقد يكونان لفظين آخرين كما في سورة العنكبوت (أئنكم)[٧].

ثالثاً: مواضع الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم:

يوجد الاستفهام المتكرر في أحد عشر موضعاً من القرآن الكريم[٨]، هي:

م	الآية	السورة	رقم الآية
١	﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	الرعد	٥
٢	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	الإسراء	٤٩
٣	﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	الإسراء	٩٨

م	الآية	السورة	رقم الآية
٤	﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	المؤمنون	٨٢
٥	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾	النمل	٦٧
٦	﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ × أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ...﴾	العنكبوت	٢٩/٢٨
٧	﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾	السجدة	١٠
٨	﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	الصافات	١٦
٩	﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾	الصافات	٥٣
١٠	﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾	الواقعة	٤٧
١١	﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ × أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾	النازعات	١١/١٠

المحور الثاني: تنوع القراءات في الاستفهام المتكرر وأثره على المعنى.

أولاً: تنوع القراءات في الاستفهام المتكرر عند القراء العشرة في المواضع السابقة:

القارئ	الموضع الأول	الموضع الثاني	الاستثناء من الأصل	ملحوظات
الكسائي	الاستفهام	الإخبار		
حمزة	الاستفهام	الإخبار		له عند الوقف على أي من الهمز المكرر التحقيق والتسهيل
عاصم	الاستفهام	الإخبار	خالف راويه حفص هذا الأصل في العنكبوت فقرأ بالإخبار في الأول وبالاستفهام في الثاني	
ابن كثير	الاستفهام	الإخبار	خالف هذا الأصل في العنكبوت فقرأ بالإخبار في الأول وبالاستفهام في الثاني	هو على أصله في الهمزة الثانية
نافع	الاستفهام	الإخبار	خالف أصله في النمل والعنكبوت فقرأ بالإخبار في الأول وبالاستفهام في الثاني	كل من الراويين على أصله في الهمزات

أبو عمرو	الاستفهام	الإخبار		أدخل ألفاً مدية بين الهمزتين
الكسائي	الاستفهام	الإخبار	خالف أصله في العنكبوت، فقرأ بالاستفهام في الموضعين	زاد نونا في الموضع الثاني من سورة النمل ﴿إننا﴾
يعقوب	الاستفهام	الإخبار	خالف أصله في النمل فقرأ بالاستفهام في الموضعين، وفي العنكبوت قرأ بالإخبار في الأول وبالاستفهام في الثاني	
خلف	الاستفهام	الإخبار		
أبو جعفر	الإخبار	الاستفهام	خالف أصله في موضعي الواقعة، والموضع الأول في الصافات؛ فقرأ بالاستفهام في الأول وبالإخبار في الثاني	
ابن عامر	الإخبار	الاستفهام	خالف أصله في النمل والواقعة والنازعات فقرأ في موطني النمل والنازعات بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني، وموطن الواقعة بالاستفهام فيهما	زاد نونًا في موطن النمل ﴿إننا﴾ وقرأ راويه هشام بالإدخال قولاً واحدًا في جميع المواضع

ثانياً: أثر تنوّع القراءات على المعنى:

تعددت القراءات في اجتماع الاستفهامين في أحد عشر موضعاً في القرآن الكريم[9] كما مر سابقاً، وفيما يلي بيان تعدد القراءات،وأثر تنوعها على المعنى القرآني في هذه المواضع:

١ ـ قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ (الرعد: ٥)

قرأ نافع والكسائي ويعقوب؛ الأول بالاستفهام والثاني بالخبر ﴿**أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا**﴾. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر عكس ذلك؛ أي بالخبر في الأول وبالاستفهام في الثاني ﴿**إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا**﴾[10]. ومن قرأ بذلك؛ أي بالاستفهام في أحد الموضعين وبالاخبار في الآخر؛ فقد استغنى بلفظ الاستفهام في أحدهما عن الآخر؛ إذ دلالة الأول على الثاني كدلالة الثاني على الأول، وأيضاً فإن ما بعد الاستفهام الثاني في أكثر هذه المواضع تفسير للعامل الأول في «إذا» التي دخل عليها حرف الاستفهام، فاستغنى عن الاستفهام في الثاني بالأول[11]. وذكر ابن خالويه أن حجة من قرأ بالاستفهام في أحد الموضعين دون الآخر أن الاستفهامين إذا اجتمعا كانا بمنزلة الاستفهام مع جوابه، والعرب تخزل الاستفهام اجتزاء بالجواب، فيقولون: قام زيد أم عمرو؟ يريدون: أقام زيد أم عمرو؟[12].

وقرأ الباقون؛بالاستفهام في الموضعين ﴿**أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا**﴾[13]؛ إتياناً بالكلام على أصله في التقرير والإنكار، أو التوبيخ بلفظ الاستفهام، ففيه معنى المبالغة والتوكيد، فأكد بالاستفهام هذه المعاني، وزاده توكيداً بإعادة لفظ الاستفهام في الثاني، فأجراهما مجرىً واحداً[14].

قال الألوسي: «والظاهر أن ﴿**أَئِذَا كُنَّا**﴾ إلى آخره في محل نصب؛ مقول لقول محكى به، والاستفهام إنكاري؛ مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار، وجوز أن يكون في محل رفع على البدلية من ﴿**قَوْلُهُمْ**﴾ على أنه بمعنى المقول، وهو على ما قال أبو حيان: إعراب متكلف، وعدول عن الظاهر، وعليه؛ فالعجب تكلمهم بذلك، وعلى الأول كلامهم ذلك، والعامل في ﴿**إِذَا**﴾ ما دل عليه قوله تعالى: ﴿**أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ وهو نبعث أو نعاد،

والجديد ضد الخلق والبالي، ويقال: ثوب جديد؛ أي كما فرغ من عمله، وهو فعيل بمعنى مفعول؛ كأنه قطع من نسجه، وتقديم الظرف لتقوية الإنكار بالبعث بتوجيهه إليه في حالة منافية له، وتكرير الهمزة في ﴿أئنا﴾ لتأكيد الإنكار، وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين في الخلق الجديد بالفعل عند كونهم تراباً، بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له، وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم في النكير ما لا يخفى»[١٥].

٢، ٣ ـ قول الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا**﴾ (الإسراء: ٤٩، ٩٨).

قرأ نافع والكسائي ويعقوب؛ بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني ﴿**أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا**﴾. وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالخبر في الأول والاستفهام في الثاني ﴿**إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا**﴾ وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿**أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا**﴾[١٦].

ذكر أبو حيان أن من قرأ من القراء ﴿إذا﴾ و﴿إنّا﴾ معاً أو إحداهما على صورة الخبر فلا يريد الخبر حقيقة؛ لأن ذلك كان يكون تصديقاً بالبعث والنشأة الآخرة، ولكنه حذف همزة الاستفهام لدلالة المعنى.وفي الكلام حذف تقديره إذا كنا تراباً وعظاماً ما نبعث أو نعاد، وحُذف لدلالة ما بعده عليه[١٧].

٤ ـ قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ (المؤمنون: ٨٢)

قرأ نافع والكسائي ويعقوب؛ بالاستفهام في الأول وبالخبر في الثاني ﴿**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا**﴾، وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالخبر في الأول وبالاستفهام في الثاني ﴿**إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا**﴾، وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿**أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا**﴾[١٨].

قال الشنقيطي: «وقوله تعالى في هذه الآية ﴿**أَإِذَا مِتْنَا**﴾ قرأ نافع والكسائي، بالاستفهام في: ﴿**أئذا متنا**﴾، وحذف همزة الاستفهام في ﴿**أئنا لمبعوثون**﴾، بل قرأ ﴿**إنا لمبعوثون**﴾ بصيغة الخبر لدلالة الاستفهام الأول، على الاستفهام الثاني المحذوف. وقرأه ابن عامر بالعكس، فحذف همزة الاستفهام من ﴿**أئذا**﴾، وقرأ ﴿**أإذا**﴾ بدون استفهام، وأثبت همزة الاستفهام في قوله: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾، وقد دل الاستفهام الثاني المثبت في قراءة ابن عامر على الاستفهام الأول المحذوف فيها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة بالاستفهام فيهما معاً»[١٩].

وقال ابن عاشور: « وقرأ الجمهور: ﴿**أَإِذَا مِتْنَا**﴾ بهمزتين على أنه استفهام عن الشرط. وقرأه ابن عامر بهمزة واحدة على صورة الخبر والاستفهام مقدر في جملة: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾. وقرأ الجمهور: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ بهمزتين على تأكيد همزة الاستفهام الأولى بإدخال مثلها على جواب الشرط. وقرأه نافع وأبو جعفر بدون همزة استفهام ووجود همزة الاستفهام داخلة على الشرط كاف في إفادة الاستفهام عن جوابه. والاستفهام إنكاري، وإذا ظرف لقوله: ﴿**لَمَبْعُوثُونَ**﴾.والجمع بين ذكر الموت والكون ترابا وعظاما لقصد تقوية الإنكار بتفظيع إخبار القرآن بوقوع البعث، أي الإحياء بعد ذلك التلاشي القوي.وأما ذكر حرف إن في قولهم: ﴿**أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**﴾ فالمقصود منه حكاية دعوى البعث بأن الرسول الذي يدعيها بتحقيق وتوكيد مع كونها شديدة الاستحالة، ففي حكاية توكيد مدعيها زيادة في تفظيع الدعوى في وهمهم»[٢٠].

٥ ـ قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾ (النمل: ٦٧)

قرأ نافع وأبو جعفر بالإخبار في الأول وبالاستفهام في الثاني ﴿**إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾، وقرأها ابن عامر والكسائي بالاستفهام في الأول وبالإخبار في الثاني، مع زيادة نون في ﴿**إِنَا**﴾ ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ**﴾، وقرأها الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا إِنَّنَا لَمُخْرَجُونَ**﴾[٢١].

قال الألوسي: « وتكرير الهمزة في أئنا للمبالغة والتشديد في الإنكار، وتحلية الجملة بأن واللام لتأكيد الإنكار، لا لإنكار التأكيد كما يوهمه ظاهر النظم الكريم، فإن تقديم الهمزة لأصالتها في الصدارة، والضمير في ﴿**أئنا**﴾ لهم ولآبائهم؛ لأن الكون تراباً قدتناولهم وآباءهم. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿**أئذا**﴾ و﴿**أئنا**﴾ بالجمع بين الاستفهامين، وقلب الثانية ياءا، وفصل بينهما بألف أبو عمرو.وقرأ نافع إذا بهمزة واحدة مكسورة فهمزة الاستفهام مقدرة مع الفعل المقدر لأن المعنى ليس على الخبر»[٢٢].

٦ ـ قوله تعالى: ﴿**وَلُوطًا إِذْ قَالَ**

لقَوْمه إنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَد مِنَ الْعَالَمِينَ • أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ...﴾ (العنكبوت: ٢٨،٢٩)

قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ويعقوب؛ بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ... أَئِنَّكُمْ﴾[٢٣]. وهو الإخبار المستعمل في التوبيخ[٢٤]..

وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ... أَئِنَّكُمْ﴾[٢٥]. على اعتبار أن جملة ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾ الخ بدل اشتمال من مضمون جملة ﴿لَتَأْتُونَ الْفَاحشَةَ﴾، باعتبار ما عطف على جملة ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾ من قوله ﴿ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ الخ لأن قطع السبيل وإتيان المنكر في ناديهم مما يشتمل عليه إتيان الفاحشة، وأدخل استفهام الإنكار على جميع التفصيل، وأعيد حرف التأكيد لتتطابق جملة البدل مع الجملة المبدل منها؛ لأنها الجزء الأول من هذه الجملة المبدلة، عند قطع النظر عما عطف عليها تكون من الجملة المبدل منها بمنزلة البدل المطابق[٢٦].

٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (السجدة: ١٠)

قرأ نافع والكسائي ويعقوب؛ بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ إِنَّا﴾[٢٧]. اكتفاء بدخول الاستفهام على أول الجملة ومتعلقها[٢٨].

وقرأ ابن عامر وأبو جعفر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[٢٩]؛ وذلك على أن الكلام خبر مستعمل في التهكم[٣٠].

وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا﴾[٣١]؛ فإن أولاهما للاستفهام، والثانية تأكيد لهمزة الاستفهام الداخلة على ﴿أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾[٣٢].

٨ ـ قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الصافات: ١٦)

قرأ ابن عامر بالخبر في الأول وبالاستفهام في الثاني ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٣٣].

وقرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بالاستفهام في الأول وبالخبر في الثاني ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٣٤]. باعتبار أنه جواب ﴿إذا﴾ الواقعة في حيز الاستفهام فهو من حيز الاستفهام[٣٥].

وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٣٦]. بهمزتين: إحداهما همزة الاستفهام مؤكدة للهمزة الداخلة على ﴿إذا﴾. والاستفهام في قوله: ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ إنكاري؛ فلذلك كان قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ جوابا لقولهم: ﴿أَإِذَا مِتْنَا﴾ على طريقة الأسلوب الحكيم بصرف قصدهم من الاستفهام إلى ظاهر الاستفهام فجعلوا كالسائلين؛ أيبعثون؟ فقيل لهم: نعم، تقريرا للبعث المستفهم عنه، أي نعم تبعثون»[٣٧]. فكرروا الهمزة مبالغة في الإنكار، وإشعارا بأنالبعث مستنكر في نفسه وفي هذه الحالة أشد استنكارا[٣٨]. فتكرير الهمزة في أئنال لمبالغة والتشديد فيذلك[٣٩].

٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ (الصافات: ٥٣)

قرأ ابن عامر بالخبر في الأول والاستفهام في الثاني ﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٤٠]. اكتفاء بهمزة ﴿أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٤١].

وقرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بالاستفهام في الأول وبالخبر في الثاني ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٤٢]. اكتفاء بالاستفهام الداخل على (إذا) الشرطية[٤٣].

وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ﴾[٤٤].

١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (الواقعة: ٤٧)

قرأ نافع والكسائي وأبو جعفر ويعقوب بالاستفهام في الأول وبالخبر في الثاني ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤٥]. أي بحذف همزة الاستفهام في الموضع الثاني، وذلك لدلالة المقال عليها، أو للدلالة على أنهم كانوا يثبتون بعثهم على سبيل الاستهزاء والسخرية[٤٦].

وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[٤٧]. على الاستفهام الإنكاري الذي يفيد استبعادهم للبعث بقولهم ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، كما يفيد استبعادهم لموتهم؛ لطول أملهم واغترارهم بالحياة بقولهم ﴿أَئِذَا مِتْنَا﴾[٤٨]. فكرر تالهمزة للدلالة على إنكار البعث مطلقا وخصوصا في هذا الوقت[٤٩].

١١ ـ قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ × أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ (النازعات: ١٠،١١).

قرأ نافع وابن عامر والكسائي ويعقوب بالاستفهام في الموضع الأول وبالخبر في الموضع الثاني ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ • إِذَا﴾، وقرأ أبو جعفر بالخبر في الأول وبالاستفهام في الثاني ﴿يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ • أَإِذَا﴾، وقرأ الباقون بالاستفهام في الموضعين ﴿أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ × أَإِذَا﴾[٥٠].

قال الألوسي: «﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ تأكيد لإنكار البعث بذكر حالة منافية له، والعامل في ﴿إذا﴾ مضمر يدل عليه ﴿مردودون﴾ أي أئذا كنا عظاماً بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة. وقرأ نافع وابن عامر إذا كنا بإسقاط همزة الاستفهام فقيل يكون خبر استهزاء بعد الاستفهام الإنكاري واستظهر أنه متعلق بمردودون»[٥١].

الخاتمة

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نزل بلسان عربي مبين، تضمن كل الأساليب العربية وأفانينها، فكان سجلاً حافظاً لها، وقد شاءت حكمة الله تعالى أن تتنوع قراءاته على أوجه مختلفة؛ للتسع معانيه، وتبين جمالياته.

إن هذه الورقة البحثية كشفت جانباً من هذه الجماليات الرصينة التي تزخر بها اللغة العربية؛ ليُكتب لها الخلود، وتبقى مصونة محفوظة بحفظ القرآن الكريم، الذي تكفل منزله بحفظه.

وقد خرجت هذه الدراسة بالنتائج الآتية:

- القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، وقد خاطب العرب بأساليبهم التي كانوا يستخدمونها؛ ولذلك تنوّعت القراءات في بعض كلمات القرآن الكريم، حسب تنوّع الأساليب العربية في الخطاب؛ تيسراً للناس في فهم مقاصده ومعانيه.
- تنوّعُ الأسلوب القرآني؛ المتمثل في اختلاف القراءات في بعض كلمات القرآن الكريم؛ يُعد ضرباً من ضروب إعجاز القرآن الكريم، حيث جمع القرآن الكريم كيفية قراءة الكلمة الواحدة بطرق مختلفة، قد تكون معروفة عند بعض العرب دون غيرهم.
- أظهر أسلوب الاستفهام المتكرر في القرآن الكريم جانباً من الجوانب الفنيّة للغة العربية، وتنوّع أساليبها وتراكيبها. وإبراز جمالياتها.

أما التوصيات فإنها تتمثل في الآتي:

- تنظيم مؤتمر أو ندوة في القراءات القرآنية، تبرز فوائد نزول القرآن الكريم بأحرف متعددة.
- تكثيف الجهود في عمل دراسات متخصصة في هذا الجانب.
- تشجيع الباحثين بنشر مثل هذه الدراسات التي تعنى بكتاب الله عز وجل.

قائمة المراجع

- الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد صبحي، ومحمود الأطرش، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان - بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- الزهيري، هشام عبدالجواد، الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، الدار العالمية للنشر والتوزيع - الاسكندرية، ط١، ٢٠١٠م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- ابن خالويه، الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، مكتبة الخانجي - القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.
- أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تح: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
- شرف، جمال الدين محمد، القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث - طنطا، ط٤، ٢٠١٠م.

- الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.
- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير مؤسسة التاريخ العربي- بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، دار التقوى للنشر والتوزيع- القاهرة، ط ٧.
- فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان) دار الفرقان للنشر والتوزيع- إربد، ط٤، ١٩٩٧م.
- القاضي، عبدالفتاح عبدالغني، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار السلام - القاهرة، ط ٥، ٢٠١١م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، التبصرة في القراءات السبع، تح: محمد غوث الندوي،الدار السلفية - الهند، ط٢، ١٩٨٢م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث- طنطا، ط١، ٢٠٠٩م.
- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، (بدون مكان وتاريخ النشر).
- وصفت أحمد الشيخ عوض، موجز البيان في أصول قراءات القرآن، حمادة للنشر والتوزيع- إربد، ودار البازوري- عمّان، ط ٢٠١٣م.

الهوامش

١. القاضي، عبدالفتاح عبدالغني، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، دار السلام. القاهرة، ط ٥، ٢٠١١ م، ج ١، ص ١٩.
٢. عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، دار التقوى للنشر والتوزيع. القاهرة، ط ٧، ص ٢٣.
٣. اقتصرت على ذكر الهمزة فقط؛ لأنها هي التي تخص مجال الدراسة.
٤. يُنظر: المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، (بدون مكان وتاريخ النشر) ص٦٣،٦٤.
٥. يُنظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان) دار الفرقان للنشر والتوزيع. إربد، ط٤، ١٩٩٧م، ص ٩٩ . ١٠٠، والمراغي،علوم البلاغة، ص٤٣.
٦. وصفت أحمد الشيخ عوض، موجز البيان في أصول قراءات القرآن، حمادة للنشر والتوزيع. إربد، ودار البازوري. عمّان، ط ٢٠١٣م، ص٢٦.
٧. المرجع السابق، الصفحة ذاتها.
٨. تكرر هذا الاستفهام في أحد عشر موضعاً، في تسع سور من القرآن الكريم، وكلها تتضمن كمال الإنكار وعظيم الاستبعاد. يُنظر: المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٩٩٨م، مج٥، ج١٢، ص٥٨.
٩. يُنظر: ابن الجزري، محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي، ج١، ص٣٧٢، وما بعدها، والقيسي، مكي بن أبي طالب، التبصرة في القراءات السبع، تح: محمد غوث الندوي،الدار السلفية. الهند، ط٢، ١٩٨٢م، ص٥٥٢ وما بعدها.
١٠. شرف، جمال الدين محمد، القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث. طنطا، ط٤، ٢٠١٠م، ص٢٤٩، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج١، ص٤٤٧.
١١. القيسي، مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث. طنطا، ط١، ٢٠٠٩م، ج٢، ص٤٩٨.
١٢. ابن خالويه، الحسين بن أحمد، إعراب القراءات السبع وعللها، مكتبة الخانجي. القاهرة، ط١، ١٩٩٢م، ج١، ص٣٢٣.
١٣. شرف، القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة، ص٢٤٩، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج١، ص٤٤٧.
١٤. القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها،ج٢، ص٤٩٨.
١٥. الألوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي. بيروت، ج١٣، ص١٠٤.
١٦. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٢٨٦.
١٧. أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية. بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج٦، ص٤١.
١٨. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٣٤٧، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٦٠٧.

١٩. الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع،،ج٥، ص٨٨٧.
٢٠. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير مؤسسة التاريخ العربي. بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٨، ص٨٨،٨٧.
٢١. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٣٨٢.
٢٢. روح المعاني، ج٢٠، ص١٥.
٢٣. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٣٩٩، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٦٨٣.
٢٤. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص١٦٢.
٢٥. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٣٩٩، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٦٨٣.
٢٦. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٠، ص١٦٢.
٢٧. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤١٥، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٠٧.
٢٨. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص١٥٣.
٢٩. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤١٥، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٠٧.
٣٠. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص١٥٣.
٣١. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤١٥، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٠٧.
٣٢. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢١، ص١٥٣.
٣٣. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٦، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٥٤.
٣٤. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٦، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٥٤.
٣٥. ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٠.
٣٦. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٦، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٧٥٤.
٣٧. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٢٠.
٣٨. البيضاوي، عبدالله بن عمر، أنوارالتنزيلوأسرارالتأويل، تح: محمد صبحي، ومحمود الأطرش، دار الرشيد، ومؤسسة الإيمان. بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص١٤٥.
٣٩. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشادالعقلالسليمإلىمزاياالكتابالكريم، تح: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة. الرياض، ج٤، ص٥٣٠.
٤٠. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٨.
٤١. ابن عاشور،التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٣٥.
٤٢. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٨.
٤٣. ابن عاشور التحرير والتنوير، ج٢٣، ص٣٥.
٤٤. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٤٤٨.
٤٥. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٥٣٥، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٨٨٤.
٤٦. الزهيري، هشام عبدالجواد، الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، الدار العالمية للنشر والتوزيع. الاسكندرية، ط١، ٢٠١٠م، ج٢، ص٤٣٣.
٤٧. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٥٣٥، والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٨٨٤.
٤٨. الزهيري، الدرر الباهرة في توجيه القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٤٣٣.
٤٩. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٣، ص٣٦٤.
٥٠. شرف، القراءات العشر المتواترة، ص٥٨٣،والقاضي، البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، ج٢، ص٩٥٤.
٥١. روح المعاني،ج٣٠، ص٢٧، ٢٨.